



Philosophy and Translation Between Essentialism and Pluralism

Manal Mohammad Khalif

Damascus University, Damascus, Syria

Email : memophello@gmail.com

Orcid ID : [0009-0001-9386-1592](https://orcid.org/0009-0001-9386-1592)

Received	Accepted	Published
18/11/2024	15/3/2025	29/4/2025

doi : 10.63939/ajts.kpqegy74

Cite this article as : Khalif, M. M. (2025). Philosophy and Translation Between Essentialism and Pluralism. *Arabic Journal for Translation Studies*, 4(11), 160-181.

Abstract

The paper aims to clarify the connection between philosophy and translation by presenting the development stages of this connection historically, showing the interaction between it, and the benefit of each for the other, and revealing the essentialism of this connection in Derrida's two concepts of difference and survival, his emphasizing the importance of Hermeneutics in translation, and role of deconstruction in analyzing texts and language to reveal their inherent contradictions and demonstrate the variability and pluralistic of meaning. The paper also clarifies the philosophical attributes of translation on Berman, which he based on two concepts of experience and reflection. As well as the relation between pluralism and the philosophical text translation of Feyerabend and his conception of incommensurability between languages and untranslatability because they are based on a set of syntactic rules that govern the use of a specific term and give it meaning. Changes in these rules lead to changes in the meaning of the terms they regulate. This paper presents our application of Feyerabend's theory in understanding the translator's task. The paper answers the following questions :

-What is the role of philosophy in the translation process? How has the connection between philosophy and translation developed?

-What are the most essential theories embodying the essentialism between philosophy and translation? And what is the necessity of Hermeneutics in translating a philosophical text? -What is the translator's task based on pluralism?

The paper concludes by fixing the essentialism relationship between philosophy and translation, the role of philosophy in providing translation science with basic principles, concepts, and the strategies followed. It also discusses the importance of translation in helping philosophy enrich its contents and doctrines and generate new philosophies, as well as the role of Pluralism in defining a translator's ethics and duties.

Keywords: Essentialism, Pluralism, Deconstruction, Hermeneutics, Anthropology

© 2025, Khalif, licensee Democratic Arab Center. This article is published under the terms of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0), which permits non-commercial use of the material, appropriate credit, and indication if changes in the material were made. You can copy and redistribute the material in any medium or format as well as remix, transform, and build upon the material, provided the original work is properly cited.

الفلسفة والترجمة بين الماهوية والتعددية

منال محمد خليف

جامعة دمشق، دمشق، سوريا

الايمل: memophello@gmail.com

أوركيد ID : 0009-0001-9386-1592

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الاستلام
2025/4/29	2025/3/15	2024/11/18
doi: 10.63939/ajts.kpqegy74		

للاقتباس: خليف، منال محمد. (2025). الفلسفة والترجمة بين الماهوية والتعددية. *المجلة العربية لعلم الترجمة*، 4 (11)، 160-181.

ملخص

يروم البحث إلى توضيح العلاقة بين الفلسفة والترجمة من خلال عرض مراحل تطور العلاقة بينهما تاريخيًا، وإظهار التفاعل بين الفلسفة والترجمة، وفائدة كلٍّ منهما للآخرى، ويبين ماهوية هذه العلاقة عند جاك دريدا من خلال مفاهيمه عن الاختلاف والبقاء، وتأكيد أهمية التأويل في الترجمة، ودور التفكيك في تحليل النصوص واللغة لتبيان التناقضات الكامنة فيها، وإظهار تغير المعنى وتعددده. يوضح البحث أيضًا الصفات الفلسفية للترجمة عند أنطون برمان، التي أسسها على مفهومي التجربة والتأمل. كذلك العلاقة بين التعددية وترجمة النص الفلسفي عند بول فيرابند، ومفهومه عن اللاقياسية بين اللغات وتعدّر الترجمة؛ فاللغات لا تقبل القياس، كونها تنأسس على مجموعة من القواعد النحوية التي تحكم استخدام مصطلح معين وتضفي المعنى عليه، ويقود تغييرها إلى تغيير معنى الحدود المحكومة بها. ويقدم هذا البحث تطبيقًا لنظرية فيرابند في فهم مهمة المترجم، ويجب عن التساؤلات التالية:

- ما دور الفلسفة في الفعل الترجمي؟ وكيف تطورت العلاقة بين الفلسفة والترجمة؟
- ما أهم النظريات التي جسدت الماهوية بين الفلسفة والترجمة؟ وما ضرورة التأويل في ترجمة النص الفلسفي؟
- ما مهمة المترجم استنادًا إلى التعددية؟

ينتهي البحث إلى تأكيد العلاقة الماهوية بين الفلسفة والترجمة، ودور الفلسفة في تزويد علم الترجمة بالمبادئ والمفاهيم الأساسية، كذلك الإستراتيجيات المتبعة، وأهمية الترجمة في مساعدة الفلسفة على إغناء مضامينها ومزجها وتوليد فلسفات جديدة ودور التعددية في تحديد أخلاقيات المترجم وواجباته.

الكلمات المفتاحية: الماهوية، التعددية، التفكيك، التأويل، الأنثروبولوجية

©2025، خليف، الجهة المرخص لها: المركز الديمقراطي العربي.

نشرت هذه المقالة البحثية وفقًا لشروط (CC BY-NC 4.0) International Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International.

تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بآية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

مقدمة

الترجمة علمٌ وفنٌ وملكة لا توهب إلا لمن فُطر على تذوق اللغة وحبها، وهي أداة لفهم أنفسنا وفهم الآخر، ومن أهم مصادر المعرفة قديماً وحديثاً، وهي وسيلة للتواصل بين الشعوب، وتبادل المعلومات والمعارف والآداب وعلوم الأمم الأخرى، مما يجعلها بوابةً لانطلاق نهضة الأمم ودخولها في مسار الحضارات المتقدمة. وهي فعلٌ وممارسة وتدريب متواصل، تكسب المترجم معرفةً دائمة، ولا سيما إن كان المترجم فيلسوفاً، ولعلّ سائل يسأل هنا: وما دخل الفلسفة؟ ونجيب، إنّ الفلسفة لم تنفك يوماً من الأيام عن الترجمة، فإن كان معناها "حب الحكمة"، فإنّ هذا الحب لا يكتمل من دون فهمٍ وتفسيرٍ وترجمةٍ لما لدى الشعوب من حكمة، والحب لا يكون نظرياً فقط، إنّما عملي وتطبيقي، والترجمة لا تكون من دون استعارة الفهم والتأويل والتفسير والتأمل من الفلسفة، وإذا ما عبّرنا بلغة إيمانويل كانط لنربط بين الفلسفة والترجمة، نقول: إنّ الفلسفة من دون ترجمةٍ خواء، والترجمة من دون فلسفةٍ عماء، فالترجمة تحتاج الفلسفة لتجد طريقها الصحيح عبر نظريات الترجمة المختلفة، واستراتيجياتها وطرقها، التي تشهد على تغلغل الفلسفة ضمن مفاصلها، والفلسفة تحتاج الترجمة لكي تطور مسيرتها، وتحيكُ معرفةً بكلّ الأفكار السابقة عليها. هنا تظهر أهمية هذا البحث في كونه يسلط الضوء على العلاقة الوثيقة بين الفلسفة والترجمة، وينطلق من إشكالية عامة مفادها: ما دور الفلسفة في الفعل الترجمي؟ ويتفرع عن هذه الإشكالية عدة أسئلة يجيب عنها البحث وهي: ما أطوار تطور العلاقة بين الفلسفة والترجمة؟ ما أهم النظريات التي جسّدت العلاقة الماهوية بينهما؟ وما ضرورة التأويل في ترجمة النص الفلسفي؟ وما العلاقة بين الماهوية والتعددية في الفعل الترجمي؟ ما الذي قدمته التعددية للترجمة؟ وهل التعددية تمثل التوجه العام لترجمة الفلسفة في فترة ما بعد الحداثة؟ ما أوجه الشبه بين عمل المترجم والأنثروبولوجي؟ وإلى أي مدى تساهم فوضوية فيرابند وتعدديته في إعادة صياغة مهام المترجم وواجباته؟

استندت دراستنا هذه على ما قدمه طه عبد الرحمن بشأن أطوار العلاقة بين الفلسفة والترجمة، بيد أنّها اختلفت عنها في طريقة التقديم والتركيز على تغلغل الفلسفة ضمن ثنائيات تطور الترجمة، حيث انصب هدفنا الرئيس على وحدة الفلسفة والترجمة. واعتمدت دراستنا أيضاً على ما قدمه بشأن ماهوية العلاقة بين الترجمة والفلسفة، لكن البحث لدينا ركز على العلاقة الماهوية فقط بينهما مستبعداً أي تعارض. واختلفت دراستنا عنها في توضيح دور الفلسفة التعددية والفوضوية في الترجمة، ولم تظهر على حد علمنا دراسات سابقة تناولت تطبيق فلسفة فيرابند في فهم تعددية المعنى ومهمة المترجم، وهنا ستكون مساهمتنا في تطبيق تعددية فيرابند في فهم مهمة المترجم واستخدام المنهج الأنثروبولوجي في الترجمة عموماً وليس فقط في ترجمة اللغة العلمية. وانتهى البحث إلى جملة من النتائج ومنها: وجود وحدة بين الفلسفة والترجمة، وصعوبة مهمة الترجمة بين اللغات إلى درجة عدم القابلية للقياس بينها، إذا لم يعتمد المترجم آليات الترجمة التي تزوده بها الفلسفة ويجعل من الترجمة الجانب العملي التطبيقي لفعل الفلسفة، كما بين البحث أهمية اتباع منهج الأنثروبولوجي في ترجمة النصوص الفلسفية المختلفة، وما يسفر عن تطبيق التعددية من واجبات المترجم ومهامه.

1- الترجمة والفلسفة تاريخياً

للترجمة تاريخٌ طويل، لكننا سنبدأ من اللحظة التي أدركت فيها الشعوب ذاتها؛ أي لحظة بدء الحضارة الغربية مع نشوء الفلسفة، ومن ثم نقلها إلى العرب وصولاً إلى عصرنا الراهن، علماً أنّ الفلسفة ما كان لها أن تنشأ لولا نقل معارف الآخرين،

وعلومهم، كما أنَّ الترجمة وجدت طريقها بدايةً في رحاب الفلسفة؛ لأنَّها كانت وما زالت قضية الفلسفة، ولن نُغفل أنَّ الترجمة ترافقت دائماً مع التطور المعرفي والتكنولوجي للإنسان، ناهيك عن أثر الصراعات الأيديولوجية والحروب والثورات المتتالية، التي عاصرتها جميع الشعوب. كان محور الترجمة دائماً ترجمة المحتوى المعرفي للعقل الإنساني وما تنزل عليه من كتب سماوية، وكان للفلسفة دورٌ في فهم هذه النصوص وترجمتها وشرحها ونقلها، فكانت حاضرةً مع الترجمة في أربع أطوار أساسية:

1.1- طور النقل الإبتدائي

1.1.1- الدوافع الدينية للترجمة: ركزت الترجمات في القرن الثالث قبل الميلاد على ترجمة الكتب السماوية إلى اليونانية، كترجمة التوراة، وقد نوقش دور المترجم كجسرٍ لنقل القيم بين الثقافات منذ تيرنس، وهو الكاتب المسرحي الروماني الذي قام بترجمة الكوميديا اليونانية إلى اللاتينية في القرن الثاني قبل الميلاد، وكان هناك وعيٌ حول الترجمة الحرفية التي قد تسيء للمعنى في كثيرٍ من الأحيان، ولعلَّ ذلك ظهر بوضوح عند القديس جيروم في "رسالته إلى باماخيوس" أثناء ترجمة الكتاب المقدس إلى اللاتينية. (ورد في "القديس جيروم"، 2021) وفي المسار ذاته الذي شهدت فيه حركة الترجمة نشاطاً عند اليونان، نلاحظ مثيلاً لها عند شعوب آسيا، ونذكر منها ما قدمته الصين في السنوات الأخيرة من عهد أسرة "هان الشرقية"، حيث وصلت البوذية ذروتها خلال السلالات الجنوبية والشمالية، وكان للرهبان أثرٌ في ذلك، كحال كوماراجيفا، وهو راهبٌ وعالمٌ بوذي، ومترجماً غزير الإنتاج إلى اللغة الصينية للنصوص البوذية المكتوبة باللغة السنسكريتية، وأدى انتشار البوذية إلى جهود ترجمة واسعة النطاق امتدت لأكثر من ألف عام في جميع أنحاء آسيا. (ديلون، 2016/2018، ص. 221-222)

2.1.1- الدوافع السياسية والإصلاحية للترجمة عند العرب: نشطت حركة الترجمة في العالم العربي في عصرٍ ازدهار الأمة الإسلامية، واتخذت في البداية شكل الترجمة الحرفية، وهي مقابلة اللفظ باللفظ، وظهرت نتيجة حاجة العرب إلى تحصيل ما عند الأمم الأخرى من معارفٍ وعلوم تنسجم مع مبادئ الدين الجديد، وذلك بغيةً بناء حضارة إسلامية على أسسٍ علمية وفكرية. وشهد العصر الأموي تفاعلاً حضارياً وفكرياً بين المسلمين وأهل البلاد المفتوحة في التطلع نحو علوم هذه الأمم، فكانت البدايات الأولى لتعريب الفلسفة والطب والكيمياء والفلك، ثم توسَّعت حركة التعريب خلال القرن الأول الهجري بتأثير المسيحيين ورغبة بعض الأمويين في نقل العلوم، والمعارف، والأعمال الفلسفية، والعلمية اليونانية الرئيسية، عبر لغاتٍ عديدة وصولاً إلى اللغة العربية. ولعلَّ أول من ساهم في ترجمة الأعمال الفلسفية هي مدارس الترجمة المختلفة التي زودت المتكلمين بمعارفٍ أساسية ساعدتهم في الدفاع عن العقيدة الإسلامية بحججٍ، وبراهين عقلية ومنطقية، ونذكر منها مدرستي الرها ونصيبين اللتان توسعتا بالعلوم اللاهوتية الدينية والفلسفة والموسيقى، حيث قامت في الرها مجالات ودراسات مذهبية، كما حظيت الرياضيات والعلوم الطبيعية ببعض الاهتمام أيضاً. (اليوزبيكي، 1976، ص. 45) وساهمت الأديرة والمكاتب الصغيرة ضمن مدرسة أنطاكية بدراسة اللاهوت وإحياء اللغة اليونانية وتراثها، ومن أبرز من درَّس في هذه الأديرة في العصر الأموي، يعقوب الرهاوي وكان استاذاً في دير يوصبونا في أنطاكية، ويكمن دور هذه الأديرة في الحقبة الأموية في نقلها للأفكار والفلسفات اليونانية إلى العرب. (اوليري، 1972/1922، ص. 46) كما كان لمدرسة الإسكندرية في مصر أيضاً دورٌ كبير في انعاش الترجمة في مصر، ولا سيما ترجمة الكتب الدينية في عهد عبد العزيز بن مروان، كترجمة الشماس بنيامين للانجيل من القبطية إلى العربية بدافعٍ ديني وثقافي. (الكاشف، 1967، ص. 143) وظهر في بلاد الشام العديد من المترجمين الذين عملوا

على نقل تراث اليونان إلى لغتهم السريانية، ولا سيما في مجال الفلسفة والمنطق، ونذكر منهم مار جرجس وهو عربي الأصل ولُقب بأسقف العرب، ويوحنا الدمشقي وهو القديس يوحنا بن سرجون، سوري الأصل، آرامي اللغة. (إبراهيم، 1984، ص.36) وساهمت هذه الترجمات في ظهور الفلسفة العربية، لكن اعتمادها على الترجمة الحرفية ترك آثارًا ضارة على الفكر الإسلامي ككل، وما خلفته من سوء فهم للأعمال الغربية.

2.1- طور الشرح والتلخيص

1.2.1- الترجمة ونشوء الفلسفة العربية: اتخذت الترجمة في العالم العربي منحًا مختلفًا عن سابقه في فترة نشوء الفلسفة العربية، وعُرفت هذه المرحلة باعتماد المترجمين على الترجمة الحرة، وهي مقابلة المعنى بالمعنى ويندرج تحت هذا النوع الترجمة التلخيصية والشرحية والتفسيرية. وبدأت هذه الترجمات مع فيلسوف العرب الكندي الذي وضع "رسالة في حدود الأشياء ورسومها"، وهي عبارة عن معجم فلسفي صغير يشرح فيه المصطلحات الفلسفية المختلفة، وكان له أثر كبير في فلاسفة لاحقين، لكن التعريف القاموسي للمفردة لم يكن كافيًا في فهم الفلسفة اليونانية، لذلك أضاف الفيلسوفان الفارابي وابن سينا شروحاتهما وتعليقاتهما عليهما، وكان لهذه الشروحات أثر ولاشك في خصوبة الفكر الإسلامي، وتأتي الخصوبة بالطبع من فلسفاتهما التي شكّلت زادًا لنا على مدار قرون عدة، وجسرًا بين الحضارات؛ إذ لم تقتصر الترجمة لديهما على نقل الكلمات، بل تعمقت في شرح وتفسير الفلسفات الغربية، ولا سيما فلسفة أفلاطون، وأرسطو. بيد أن البلاء الأكبر كان في فهم المصطلح، واعتناق فلسفاتٍ دون غيرها، وعدم الإحاطة الشاملة بالفلسفات اليونانية ومعارفها، ووجود لغاتٍ متوسطة في فهم المفردة، إضافةً إلى ما يخلفه التلخيص من ضياعٍ للمعنى والعبارة، ومع ذلك تمكنا من إصلاح الترجمات السابقة عليهما، وربما هذا ما دفع الغزالي إلى وضع الفارابي وابن سينا في زمرة المترجمين الذين دخلوا في إصلاح المنقولات الابتدائية، وهي مهمةٌ تابعها ابن رشد، الذي ردّ بدوره على الغزالي والفلاسفة السابقين عليه، وأعاد ترجمة أعمال القدماء، بيد أن ترجمته انصبّت على المعنى، وكادت تبالي برأينا في التلخيص والشرح، وتفتقر في كثير من الأحيان إلى الإتيان بالمفردة المكافئة للكلمة اللاتينية، مما يدعونا للقول مع طه عبد الرحمن: "كاد ابن رشد في بعض مؤلفاته أن يكون أقرب إلى الناقل المترجم منه إلى الكاتب المنشئ، لا سيما في تلاخيصه". (عبد الرحمن، 1995، ص. 86) التي تلافي فيها عيوب النقل الحرفي، فتكون مهمته هنا أشبه بمهمة المؤلف للعمل. وقد غلب على شروحاته برأي عبد الرحمن التداخل بين النقل والتأليف، مما جعل البعض يصفه "باتباع الفيلسوف اليوناني في زلاته". ((عبد الرحمن، ص.99) وكان هذا نتيجة شغفه بفلسفة أرسطو.

2.2.1- إعادة إحياء الأعمال اللاتينية في الغرب: لم تكن الفلسفة محدودة عند الغرب في بداية القرن التاسع كما قيل لنا، بل شهدت نشاطًا وحركة هدفها إعادة إحياء الفلسفة اللاتينية من خلال تقديم ترجماتٍ متنوعة للغة اللاتينية، التي كانت اللغة المشتركة للعالم الغربي عبر العصور الوسطى، وقلما وجدت ترجمات للأعمال اللاتينية إلى اللغات المحلية، وتركزت هذه الترجمات على أعمال أرسطو لفهم لغة الكتاب المقدس في القوات الذي شهد التعليم فيه نشاطًا بارزًا في الأديرة، كما ظهر العديد من المفكرين المترجمين من أمثال جون الإسكتلندي والمعروف بإيريجينا الذي ترجم أعمال ديونيسيوس المزور إلى اللاتينية، (هيل، 2012، ص. 136). وكان لألفريد العظيم دورٌ محوري في إحياء حركة الترجمة ونشر العلوم والآداب، وكان

أساس إحياء اللغة الإنجليزية القديمة بعد أن أمر بضرورة تعلمها، والاهتمام بها كلغة وطنية في مواجهة غزو "الفايكنغ"، وكلّف بترجمات من اللاتينية إلى الإنجليزية ومنها "عزاء الفلسفة" لبوثيوس (Mark, 2018).

3.1- تطور اصلاح الترجمة والاستفادة من الشروح العربية

1.3.1- الترجمة في نهاية العصور الوسطى: أصبحت مدرسة توليدو للمترجمين في القرنين الثاني عشر والثالث عشر نقطة التقاء العلماء الأوروبيين الذين سافروا واستقروا في توليدو لكي يترجموا الأعمال الفلسفية والدينية والعلمية والطبية الرئيسة من العربية واليونانية إلى اللاتينية. وتمحورت ترجماتهم بالأساس حول ترجمة الكتاب المقدس، (ليبرت، ماري، 2020/2021) ثم تطورت حركة اصلاح الترجمات مع روجر بيكون R. Bacon، وهو أول من أكد ضرورة أن يكون لدى المترجم معرفة شاملة بكلّ من اللغة المصدر واللغة الهدف لإنتاج ترجمة جيدة، وأن يكون ضليعاً أيضاً في تخصص العمل الذي يترجمه، وعلى الرغم من تخصصه الفلسفي وتصديه لشرح أرسطو، لكنه لم يحط به إحاطة كافية ولم ينفذ إلى مقاصده، وكان يعيب على الترجمات اللاتينية لكتبه، ويقول: "خير للآتين أن يجهلوا أرسطو من أن يعرفوه عن طريق تلك الترجمات"، (كرم، 2012، ص. 130) وكان محقاً في ذلك، حيث ما زالت الكثير من معاني ومفردات أرسطو غامضة بالنسبة لنا بسبب سوء الترجمات.

2.3.1- الترجمة في بداية عصر النهضة: شهد القرن الرابع عشر تطوراً ملحوظاً في علم اللاهوت والتصوف، وبدأت تظهر دعوات للخروج عن الترجمات القديمة للكتاب المقدس، ومنها دعوة جون ويكليف J. Wycliffe، وهو عالم اللاهوت الذي ترجم الكتاب المقدس من اللاتينية إلى الإنجليزية، وذلك بعد أن أوحى للعديد من المترجمين بإعادة ترجمة الكتاب المقدس من اللغة اللاتينية إلى لغة تفهمها عامة الناس، وكانت أفضل ترجمة دينية للكتاب المقدس هي "الكتاب المقدس نسخة ويكليف". (هيل، 2003/2012، ص. 178-179) وقادت هذه الترجمة إلى إنعاش الأعمال السابقة مع بداية القرن الخامس عشر، حيث أعاد الفيلسوف البيزنطي جيمستوس بليثو G. Plethon تقديم فكر أفلاطون وساعد في تأسيس الأكاديمية الأفلاطونية، التي عملت على ترجمة جميع أعمال أفلاطون، والإلياذة والأوديسة، وكذلك ترجمة أعمال الأفلاطونية الحديثة.

3.3.1- الترجمة في القرنين السادس عشر والسابع عشر: ظهر في تلك الفترة أثر التطبيق العلمي واضحاً في مجال الطباعة، مما أدى إلى تطورها وانتشار أعمال مترجمة أكثر غنى، وكانت ترجمة "العهد الجديد لتيندال" أول ترجمة عظيمة لتيودور، وسُميت على اسم المصلح الإنجليزي ويليام تيندال W. Tyndale الذي كان مترجمها الرئيسي الأول؛ كما ترجم الكتاب المقدس أو العهد الجديد مباشرةً من النصوص العبرية واليونانية. وبعد ذلك ترجم ما يقارب نصف العهد القديم، مما جعل منه شخصية بارزة في الإصلاح البروتستانتي قبل أن يُحكم عليه بالإعدام لحيازة الكتاب المقدس باللغة الإنجليزية من دون ترخيص. وبعد وفاته، أكمل أحد مساعديه ترجمة العهد القديم وأصبح "الكتاب المقدس لتيندال" أول ترجمة إنجليزية للكتاب المقدس تصدر بكميات كبيرة في المطبعة. (ورد في: فيرتشايلد، "وليام تيندال" (د.ت)) ولا يمكن أن نغفل في تلك الفترة ما قدمه اللاهوتي مارتن لوثر M. Luther من فكرٍ إصلاحيٍ شاع أثره في الفلسفة والترجمة معاً، وظهر ذلك في ترجمته الجديدة للكتاب المقدس إلى الألمانية، وما عرف بـ "إنجيل لوثر"، الذي أثر في الدين، ولا سيما في ظهور التيارات الفلسفية اللادينية، حيث

ساهم التفاوت في ترجمة الكلمات والمقاطع الحاسمة إلى حدٍ ما في انقسام المسيحية الغربية إلى الكاثوليكية والبروتستانتية. (هيل، 2012/2003، ص. 198-199)

كما كان لنشر "الكتاب المقدس للوثر" أثرٌ في تطوير اللغة الألمانية الحديثة، ولا سيما ما قدمه الشعراء في تلك الفترة، ثم أعقبها ترجمتان رئيسيتان أخريان للكتاب المقدس هما ترجمة جاكوب وجيك بالبولندية ونسخة "الملك جيمس" باللغة الإنجليزية، وكان لهما عميق الأثر في ثقافة ولغة كل من بولندا وإنجلترا، وتُرجم الكتاب المقدس بعد ذلك إلى لغاتٍ متنوعة كان لها أثرٌ بالغ في استخدام اللغات المحلية في أوروبا المسيحية، وساهمت أيضًا في تطوير اللغات الأوروبية الحديثة. صحيح أنَّ معظم الدول الأوروبية استخدمت اللغة اللاتينية كوسيلة اتصال فكرية حتى مجيء القرن السادس عشر، لكن بعض الكُتاب كانوا يعدّون لغتهم المحلية متدنية المستوى، ولا تناسب إلا بعض أنواع النصوص (لونغ، 2017/2007، ص. 141).

4.3.1- الترجمة في القرنين السابع عشر والثامن عشر: ترافقت حركة الترجمة في تلك الفترة مع نشاط واضح في مجال الأدب والنثر والشعر، ونذكر من المساهمات على صعيد الأدب في بداية القرن السابع عشر ما قدمه ميغيل دي سيرفانتس عبر روايته "دون كيشوت"، الذي أعرب عن آرائه حول عملية الترجمة، التي افتقرت برأيه إلى الوضوح، باستثناء ما قدمه المترجمون من نقلٍ للغة اليونانية إلى اللاتينية، (ليبرت، ماري. 2020/2021) وكذلك على صعيد الشعر، حيث ترجمَ الشاعر ألكسندر بوب العديد من القصائد الملحمية اليونانية "إلياذة" و"الأوديسة" إلى الإنجليزية. وقد أظهرت هذه الترجمات التأثير الذي تمارسه الفلسفة بفضل الترجمة في معارف الإنسان الأخرى وفنونه، ومهدت في الوقت ذاته لظهور الفلسفة النقدية الكانطية في القرن الثامن عشر، حيث كان شعار المترجمين "سهولة القراءة فقط أياً كانت النتيجة"، حتى لو لم يفهموا النص، أو كانت الفكرة مملة بالنسبة للقراء. وافترضوا أنَّ أسلوبهم في التعبير هو الأفضل، وأنَّ النصوص يجب أن تكون متوافقة مع ما في الترجمة، باستثناء ترجمة الكتاب المقدس، ولم يهتموا أكثر من أسلافهم، أو يتوانوا عن عمل ترجمات من لغاتٍ بالكاد يعرفونها، ولم تكن القواميس ومعاجم المترادفات أدلة كافية لهم في ذلك الوقت. وحول ذلك أكد المؤرخ الاسكتلندي ألكسندر فريزر تايتلر A. F. Tytler في كتابه "مقال عن مبادئ الترجمة" أنَّ القراءة الجادة كانت أكثر فائدة من استخدام القواميس. (ليبرت، ماري. 2020/2021)

4.1- طور التنظير الفلسفي في الترجمة

1.4.1- الترجمة في القرن التاسع عشر: ظهرت مع بداية هذا القرن معايير جديدة للترجمة ركزت على الدقة والمصادقية في الترجمة، واشتهرت الترجمات الإنكليزية المنقولة عن اللغة الفارسية والعربية، مثل "رباعيات عمر الخيام"، الذي ترجمه الكاتب والشاعر الإنكليزي إدوارد فيتزجيرالد E. FitzGerald وقدّم فيه مجموعة مختارة من قصائد عمر الخيام، وظلّت ترجمته من أشهر الترجمات لقصائد الخيام حتى يومنا هذا، على الرغم من الترجمات الأكثر حداثةً ودقّةً، وعلى صعيد الفلسفة أسهم عالم اللاهوت والفيلسوف الألماني فريدريك شلايرماخر F. Schleiermacher في تطوير نظرية الترجمة، من خلال تمييزه بين طرق الترجمة التي تحرك المؤلف نحو القارئ أو العكس؛ أي الإخلاص الشديد لمصدر النص، ورجّح الطريقة الثانية على الأولى، ومن أشهر ترجماته ترجمته التذكارية لأفلاطون. (هيل، 2012/2003، ص. 244) وفي النصف الثاني من القرن

التاسع عشر، كانت الترجمة في العالم العربي قوةً في وجه سياسة التتريك في المنطقة العربية، وظهر منبران للترجمة: الأول بدأ في لبنان مع أمين المعلوف، والآخر في مصر في عهد محمد علي، واتخذ طابع الترجمة بالعموم سمة العودة إلى استئناف النقل.

2.4.1- الترجمة في القرن العشرين: ظهرت في تلك الفترة بعض الترجمات في العالم العربي التي ركزت على المعنى كتلك التي قدمها الفيلسوف المصري زكي نجيب محمود؛ الذي نقل لنا التجربة الفلسفية للوضعية المنطقية، واعتمد التحليل اللغوي في ترجماته. لكن ذلك لم يغير من حقيقة أنَّ العرب جعلوا من الترجمة أصل والفلسفة تتبع لها، ولم تستطع الترجمة أن تمتد الفلسفة العربية بالأسباب التي جعلها تستقل بنفسها وتأتي بجديد لم يسبق إليه، ولا أن تجعل هذا الاستقلال والتجديد ممكنين في ظل مواصلة العمل الترجمي، ويختلف الوضع في العالم الغربي الذي جعل الفلسفة أصلاً والترجمة تبعاً، وهذا كان حال اليونانيين قديماً وتابعه أحفادهم الأوروبيين، على عكس العرب الذين لم يكفوا في ترجماتهم عن وجود الترجمات الوسيطة. (عبد الرحمن، 1995، ص. 101) وذلك في الوقت الذي قدّم فيه الغرب مدارس أسهمت في توحيد الترجمة والفلسفة، وأظهرت مناهج جديدة في الترجمة، فكانت الفلسفة ذات نفعٍ للترجمة والعكس. وظهر ذلك في تقديم النظرية السيميائية في الترجمة، والتي تتضمن دراسة الرموز والإشارات وكيفية تفاعلها مع المعنى، والنظر إلى اللغة كنظامٍ من الرموز والإشارات، حيث يفكك المترجم هذه الرموز في النص المصدر ويعيد ترميزه في النص الهدف، ولعلَّ أبرز من مثل النظرية السيميائية الفيلسوف النمساوي لودفيغ فتنغشتاين L. Wittgenstein، أو صاحب التحليل المنطقي للغة، والذي يعدُّ من أهم الاستراتيجيات المستخدمة في الترجمة، حيث يعتمد معنى الكلمات على استخدامها في السياق اليومي، وتتشكل المعاني من خلال الاستخدامات المختلفة.

وفي هذا السياق نذكر من فوائد الفلسفة أيضاً ما قدمته الفلسفة البراغماتية التي أسسها السيميائي تشارلز بيرس Charles Peirce في أواخر القرن التاسع عشر، وعمل المترجمون على تطبيق مبادئه في فهم كيفية تحقيق النص المترجم لغرضه ووظيفته في الثقافة الهدف. وأثرت رؤيته في النظرية الوظيفية التي طورتها عالمة الترجمة الألمانية كاثرينا رايس K. Reiss وعالم الترجمة الألماني هانز فيرمير H. Vermeer وهي نظرية تركز على وظيفة النص المترجم والغرض منه في الثقافة الهدف. ولا تُغفل هنا أثر الترجمات التي ظهرت بعد الحربين العالميتين للأخوين شيلجل، ومارتن هايدغر M. Heidegger وصولاً إلى والتر كوفمان W. Kaufmann، وبول فييرابند P. Feyerabend، الذين كان لهم دورٌ في وصل القارتين الأوروبية والأمريكية. كما ساهمت أيضاً الحركات النسوية مع بداية النصف الثاني من هذا القرن في ظهور مترجمات كان لهنَّ فضلٌ في عملية الترجمة، من أمثال ألزبيث أنسكومب E. Anscombe التي ترجمت أعمال فتنغشتاين، ونُقلت عنها إلى العربية، على الرغم من عودة المترجمين إلى اللغة الأصلية لكن أثر اللغة الوسيطة في ترجماتهم كان واضحاً. ويمكن الاعتراف هنا بتأثير فلسفة اللغة، وأثر فلاسفة الترجمة في تطور علم الترجمة، وظهور نظامٍ جديد يُسمى "دراسات الترجمة"، حيث أصبح هناك تمييز بين الترجمة الشفوية والترجمة الكتابية، وبات يُنظر إلى الترجمة الشفوية على أنَّها شكلٌ متخصص من أشكال الترجمة المنطوقة، ثم تحررت دراسات الترجمة الشفوية تدريجياً من دراسات الترجمة للتركيز على الجانب العملي والتربوي للترجمة الشفوية. وكان للتقدم التقني دورٌ كبير في تطور الترجمة، لا سيما مع ظهور الذكاء الاصطناعي. وأصبحت دراسات الترجمة مجالاً أكاديمياً متعدد التخصصات يشمل مجالات دراسية مختلفة. ووصلت الترجمة بفضل

الفلسفة إلى مرحلة مرموقة، كما ساهمت ترجمة الفلسفات السابقة في إعادة النظر في تاريخ الفكر الفلسفي واتساع مجالات الفلسفة ومنها تطورت الإستمولوجيا المعاصرة.

2- ماهوية العلاقة بين الترجمة والفلسفة

لمسنا عبر أطوار العلاقة بين الفلسفة والترجمة، وجود تفاعل بين عمل المترجم والفيلسوف، على الرغم من أن الترجمة برأي الكثيرين سابقة تاريخياً على الفلسفة؛ لأنَّ البشرية احتاجت آلاف السنين إلى أن توصلت إلى تنظيم أفكارها ومعتقداتها وأساليب تفكيرها ضمن نسقٍ منظم نسميه الفلسفة، في حين احتاج الإنسان إلى الترجمة بعد أن تطورت اللغة، وتشعبت وتبلبلت قبل نشوء الفلسفة في بلاد اليونان. بيد أننا نقول: إنَّ إرهابات الفلسفة كانت قبل ذلك بكثير في بلاد الشرق وما بين النهرين، ولو لم يكن لها تاريخٌ أبعد من وجودها في اليونان لما تمكنت بوصفها أم العلوم من الاستحواذ على علم الترجمة وتطويره، ونجد ذلك كما يرى طه عبد الرحمن في نظرة اللسانيين إلى الترجمة بوصفها مجالاً تنكشف فيه أعم المعاني وأشمل الحقائق التي تثوي في الألسنة المختلفة، وهي بابٌ يفتح على إمكان الظفر بلغةٍ تشمل الإنسانية جمعاء، وما هذه الشمولية التي أرادت الترجمة الانصاف بها إلا صفةٌ من الصفات التي منحها إياها الفلسفة. (عبد الرحمن، 1995، ص. 67) وعلى الرغم من معارضة بعض اللسانيين وتأكيدهم على أنَّ علم الترجمة يزرع نحو الخصوصية التي تفرقه عن الفلسفة، لكن الشمولية التي ينسبها بعضهم للترجمة ليست من صنعها وإنما هي ثمرة نفوذ الفلسفة في أعلى مستويات الفعل الترجمي. (عبد الرحمن، ص. 73) مما يؤكد وجود ارتباط وثيق بين الفلسفة والترجمة، قاد بعضهم إلى القول بماهوية العلاقة بينهما، وظهر ذلك جلياً ضمن ما يُعرف بالترجمة الفلسفية، وهي ممارسة الترجمة باتباع منهجٍ يستمد مبادئه وخصائصه من بعض التقريرات المنهجية والحقائق التأملية التي تتميز بها الفلسفة.

نرى هذه العلاقة أيضاً فيما أُطلق عليه اسم الفلسفة الترجمية، وهي "النظر في القضايا الفلسفية باتباع منهجٍ يستمد أصوله من بعض تجارب الترجمة التطبيقية وقوانينها النظرية". (عبد الرحمن، ص. 104) وقد ظهر الحديث عن ماهوية العلاقة بين الترجمة والفلسفة بهذا الشكل عند هايدغر وميشيل فوكو M. Foucault، وويلارد فان كواين W. Van. Quine وفتغنشتاين وجاك دريدا J. Derrida أو ما يعرف بالنظرية التفكيكية للترجمة التي تأثر بها فيرابند، ومن المترجمين نذكر أيضاً جان لادميرال J. l'Admiral والمترجم الفرنسي أنطون برمان A. Berman، ونظراً لما تفرضه طبيعة البحث، سينحصر حديثنا هنا ضمن ما قدمه دريدا وبرمان، وسيكون لنا حديثٌ منفرد لاحقاً عن فيرابند الذي استقى من سابقه النقد والتحليل، واتخذَ منحاً مختلفاً عنهم.

1.2- نظرية جاك دريدا

تأثر دريدا بنظرية هايدغر في الترجمة، وقدّم لنا نظرية التفكيك، التي تتناول تحليل النصوص واللغة لتبيان التناقضات الكامنة فيها، وتُظهر أنَّ المعنى ليس ثابتاً، وإنما متغير ومتعدد الأوجه، وبذلك اختلف عن فتغنشتاين في تركيزه على تحليل النصوص لإظهار تعددية المعاني. فالتفكيك عند دريدا "ليس تحليلاً؛ لأنَّ تفكيك عناصر بنية لا يعني الرجوع إلى العنصر البسيط، إلى أصل غير قابل لأي حل. فهذه القيمة، ومعها قيمة التحليل نفسها بالذات هي عناصر فلسفات خاضعة

للتفكيك". (دريدا، 2000/1987، ص.60) ولا يعني التفكيك النقد؛ لأنَّ "هيئة الحكم بحد ذاتها، شأنها شأن جهاز النقد المتعالي كله، تشكل أحد الموضوعات الأساسية التي يستهدفها التفكيك". (دريدا، ص.61) وبموجب هذا التحليل اللغوي تتحول الترجمة إلى عملية صياغة للمعنى المتضمن في النص المترجم، وتعديلٌ مستمرة له، وتفسح في المجال لقبول الاختلاف والتنوع والتعدد، وإعادة الحياة للنص الأصلي، مما يؤدي إلى المحافظة على ديمومته أو بقاءه، ويتضح هذا في حديثه عن مفهومي أساسين في الترجمة، هما الاختلاف والبقاء:

- الاختلاف: يفيد في إبطال أي معنى جوهري يحتاج المترجم نقله، بحكم أنَّه يدخل الفرق في كلِّ هوية، واعتبار أنَّ المعنى الجوهري هو عبارة عن ماهية تتميز بوصفٍ عقلي يتمثل في الهوية، وبوصف وجودي هو الحضور، لذا لا بدَّ أن يتيح الاختلاف معرفة هذا المعنى، ويترك الألفاظ تدل على المعاني التي تعترضها الأعراض والفروقات والآثار، فتكمن هنا مهمة المترجم في الكشف عن الآثار، وحفظ الفروقات، فيعتمد على المعاني المفقودة ليفسح في المجال لمزيدٍ من إعمال العقل. (حيدرة، 2014، ص.173)

- البقاء: يفيد في إبطال القول إنَّ الترجمة نسخة للنص الأصلي؛ لأنَّ البقاء هو تجديد دائم للحياة ولا تجديد بغير تغيير، فعندما ننقل النص من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف يكون هذا النقل إحياء للنص في اللغة المصدر وبقاء له. إذ يجري على هذا النص تحويلٌ متواصل ينعكس عليه، فيتغير بدوره كما يتغير النقل، ويتخذ هذا التغير فيه شكل التوسيع لحدوده والتعمق لفروقه. وبذلك يفيد البقاء في كثرة الدلالات اللغوية والمعاني فما أنَّ يندثر معنى يبقى أثره الذي يؤدي إلى ظهور معنى جديد، وهذا بدوره يندثر بفعل الترجمة الجديدة ليظهر آخر وهكذا، فلا سياق بقادرٍ على أنَّ يحدِّد دلالة النص ولا قرينة كافية لأنَّ تقيده بعينه، (عبد الرحمن، 1995، ص.113) وفي الترجمة نُكثِّر من الدلالات كما نُكثِّر من البذار في الزراعة، فتعطينا محصولاً أكثر، وربما أكثر فائدةً مما كان قبله، وهذا ما يجعل الترجمة بمثابة الغذاء للنص الأصلي وإعادة إحياء مستمرة له، وليس هناك من معنى ثابت أو خالص للنص، بل إنَّ كلَّ نص فلسفي يحتمل عدة قراءات ولا يمكن الحديث عن تطابق مطلق بين المعنى المقصود في النص وما يفهمه القارئ منه؛ لأنَّ فهم القارئ دائماً ذاتي، وهي نقطةٌ ينبغي أن يوليها المترجم كلَّ اهتمام.

كما يفيد البقاء في اتساع اللغات؛ فالترجمة لا تتضمن نقل المعنى الجوهري بأمانة؛ لأنَّ هذا المعنى لا سبيل إلى اقتناصه لتعذر فصله عن صورته اللغوية. والمقصود حقاً من هذا الوصل بين اللغتين هو إمداد إحداها للأخرى بما تفتقده مما يحقق الفائدة لكليهما؛ لأنَّ المعنى المنقول لا بدَّ وأن يأتي بالجديد للغة الناقلة، فيزيد في سعتها ومُكنيتها، لكن هذا المعنى لا يطابق بإطلاق المعنى المأصول في اللغة المنقولة، ولو تحرى المترجم بغاية الجهد الوفاء بعناصره على أكمل وجه، فقد يخفي منه جوانب ويظهر أخرى، مما يحملنا على رؤية اللغة المنقولة بعينٍ ترى فيها ما لم تكن تراه من قبل أن نباشر الترجمة، حتى توشك على العودة إلى هذه الأصول، لكي نضع لها الهوامش والحواشي والتعليقات والتوطئات التي توضح هذه النظرة الجديدة، كما اعتدنا وضعها للقول لتندارك فيها ما يتعذر علينا آداؤه في المتن، وبذلك تقود الترجمة إلى توسيع اللغات ونموها. (عبد الرحمن، 1995، ص.114)

هكذا تمكن دريدا من توحيد الفلسفة والترجمة وجعل من الترجمة الأصل الذي تفرعت عليه الفلسفة، وأوضح قدرة الترجمة على إنشاء نمط جديد من التفكير ينبني عليه الاختلاف والعرض والأثر، والترجمة قادرة على تجاوز نمط التفكير الضيق لتولد نمط تفكير منفتح وموسع تتجدد به على الدوام قراءة النص الفلسفي ويتعدد به تأويله؛ لأن طبيعة النص الفلسفي دائم التأويل والترجمة والتعدد. (عبد الرحمن، 1995، ص. 114) إذ يمثل التأويل منهج أساسي تشترك فيه الفلسفة والترجمة، وهو برأي دريدا حيلة نفسية وذهنية للاتفاف على النص، وأسلوبًا للتعامل مع اللفظ خلاف المعتاد، ويحاول راب الصدع اعتمادًا على عملية الذهاب بالمقاربة النقدية إلى ما وراء النص، أي يجعل النص في مجمله معرّي من الداخل. (دريدا، 2015/1985، ص. 85-86) وفي التأويل يجد المترجم نفسه أمام بحر واسع من المفردات البديلة؛ نظرًا للحرية التي يمنحها له هذا التأويل في اختيار مفرداته وصياغة جملة، ولا يعني هذا أن التأويل غير متاح إلا لترجمة النص الفلسفي، فكل أنواع الترجمة تتفاوت في استخدامه؛ ذلك أن الترجمة كما تقول ليلى مسعودي: "مسعى تأويلي، فهي عملية ذهنية وإدراكية تتطلب ثقافة موسوعية واجتهادًا خاصًا، وممارسة فعلية، فالمترجم لا بدّ له، وهذا بديهي، من أن يفهم النص، ويدرك أبعاده وخلفياته لاستيعابه وضبطه وتأويله". (Messaoudi, 1995, p.5)

وفي هذا التأويل تكمن مهمة المترجم في فهم الثقافات ووصل الحضارات؛ ذلك أن الترجمة تتدخل في كلّ مرحلة من مراحل التاريخ الدموي للبشر تعبيرًا عن وضعية إسعافية، وتنبيه إلى وجود هوة ينبغي ردمها عبر التلاقح الثقافي بين الشعوب، أو جسر يجب بناؤه للعبور بين لغتين، وما يترتب على عملية البناء من حصول بناء بالمعنى السلبي، وهو حيازة قيمة لها وزنها لدى النص المترجم، وهنا يكون المترجم هو المخلص ومن تُعقد عليه كل الآمال، وعليه تقع كلّ المسؤولية، ودائمًا يكون محلّ مساءلة، وما إذا كان سيقوم بعمله كمترجم من دون مضاعفة الألام أو تعقيد الوضع، فربّ كلمة مستفزة تطيح بنص كامل على مستوى المعنى، خصوصًا إذا ارتبط فعل الترجمة بما هو سياسي أو قانوني أو ديني، حيث تلزم الحاجة إلى الدقة في الكتابة، وعلى قدر ما يكون الحضور العددي والنوعي للأشخاص الذين يعينهم ذلك، أو جماعات تنتظر ما يسفر عنه الفعل الترجمي (دريدا، 2015/1985، ص. 89-93).

2.2- نظرية أنطون برمان

شكلت الترجمة عند برمان كحال دريدا ضرورة اجتماعية للمجتمع والفرد؛ لأنها تشكل قوةً للشعوب وجسرًا للتواصل بينها، فالبشر في غاية التباعد وهم بحاجة ماسة إلى التقارب، ومن الضروري أن نترجم بهدف تقليص الهوة بينهم أو تخفيف وطأة غربتهم، والدفع بالمعنيين بأمورهم إلى تعميق دور الترجمة لهذا الغرض. (دريدا، 2015/1985، ص. 94) والترجمة بهذا المعنى نشاط اجتماعي بامتياز، وتتضمن إمكانية أيّ مجتمع بمؤسساته المتنوعة على إعداد أفراد قادرين على الترحال بعقولهم بين المجتمعات والحضارات المختلفة، واقتناص أفضل كنوزها المعرفية والعلمية والفلسفية، وتحقيق نوع من الحوار الناجح بين الحضارات والمساهمة الفعالة في نهضة المجتمع وتقدمه.

كان لتلك الفلسفة التي انتقلت بفعل الترجمة عظيم الأثر في فكر برمان؛ الذي أسس بوجي من فوكو ما يُعرف بـ "الترجمات" استنادًا إلى مفهومين أساسيين هما التجربة والتأمل؛ فالترجمة كتجربة باستطاعتها أن تنفتح على التأمل، وتُفهم في إطاره، وهي في الأصل تأمل، والترجمة تجربة الأعمال، وكيثونة العمل وتجربة اللغات وكيثونة اللغة، وهي تجربة خاصة بذاتها وماهيتها، وفي فعل الترجمة تحضر معرفة محددة، ومتولدة ذاتيًا، فالترجمة ذات ولها موضوع معرفة خاصة بها، ولم تعد حقلًا

للمعرفة، بل فضاءً مفتوحاً ودائراً للتأمل، لذا يتعين على علم الترجمة أن يعارض ما شرع في تسميته بالترجمة، وهي من بين آخر التخصصات، التي تسعى إلى ضم عمليات الترجمة لأنظمتها الحاسوبية كحال المعلوماتية والإنتاجية، وبذلك يكون علم الترجمة تأمل الترجمة في ذاتها، انطلاقاً من طبيعة تجربتها. (برمان، 2010/1985، صص. 33-34) وعبر التجربة والتأمل يؤكد برمان على الصفة الفلسفية للترجمة؛ لأنَّهما تنتميان إلى المفاهيم المركزية للفكر الفلسفي الحديث، حيث اعتبرت التجربة مفهوماً أساسياً في الفلسفة التجريبية، وكذلك الحال بالنسبة للتأمل عند الفلسفة المثالية الألمانية حيث لم تنفصل الترجمات العظيمة المنجزة في تلك الفترة عن التفكير الفلسفي الخاص بفعل الترجمة، فكل ترجمة عظيمة كانت أيضاً تفكيراً محمولاً من طرف الفكر، إذ بإمكان الترجمة الاستغناء عن النظرية، لكنها في حاجة دائمة إلى الفكر، من هنا يتعين على علم الترجمة أن يتجذر بالضرورة داخل الفكر الفلسفي، من دون أن يكون فلسفةً للترجمة. وهو ليس تفسيراً ذاتياً، ولا ظاهراتية ساذجة لفعل الترجمة، بل يتأسس على واقعة لم توضح بعد، وهي وجود تجاور ماهوي بين الفلسفات والترجمة. ونظراً لأنَّ علم الترجمة مطالب بأن يكون تأملاً وتجربة، لا ننظر إليه كمادة تخصصية موضوعية، بل هو فكر الترجمة. (برمان، ص. 35-37) وبهذا نجد أنَّ برمان لا يسائل الترجمة انطلاقاً من الفلسفة كحال دريدا بل يسعى من خلال تفسير المعرفة المتضمنة في فعل الترجمة، إلى إبراز ما هو مشترك بين هذا الأخير وبين فعل التفلسف، مؤكداً فائدة الفلسفة للترجمة؛ في كون الأخيرة تستمد مفاهيمها الأساسية منها، وتؤدي بفضلها مهمتين فلسفتين خالصتين هما أخلاقيات الترجمة وما وراء الترجمة.

تنقسم أخلاقيات الترجمة إلى إيجابية وسلبية، وتظهر الإيجابية فيما يبذله المترجم من جهدٍ لكي تأتي نقوله على شرط الأمانة والصحة اعترافاً منه بوجود الغير واحتضناً لقيمه الحية، ولا تتحقق الأمانة والصحة إلا بأداء الصورة اللفظية للأصل الذي وضعه الآخر، أي بالتزام الحرفية في نقله، فتكون الغاية الأخلاقية للمترجم هي استقبال هذه الحرفية الخاصة. في حين تظهر الأخلاقيات السلبية في القيم الفكرية والأدبية التي تحمل المترجم على ترك توجهه الخلقي، ومحو آثار الوجود الأجنبي من الأعمال المنقولة بحجة تحسينها أو تكييفها. (عبد الرحمن، 1995، ص. 118) وتتضح المهمة الثانية المتمثلة فيما وراء الترجمة في بناء طموح علم الترجمة على تأمل كلية الأشكال القائمة للترجمة، وفي حال عدم تمكنه من بناء نظرية عامة حول هذه الأخيرة، يمكنه التفكير في ترجمة الحق، وهي ترجمة أصيلة؛ لأنَّنا نلاقي فيها بصورة مغايرة لما نجده في الأعمال الإبداعية، الحرف الذي يحدد معنى الترجمة ووضعيتها. فضلاً عن ذلك يوجد تجاوز للمعنى متضمن في لفظة ترجمة، ولا يمكن إرجاع هذا التجاوز إلى مغامرة مفهومية ولا إلى خلطٍ اصلاحي أو استعارة غير مناسبة، إذ يوجد ترجمة تخص الترجمة الأخرى التي تختفي بمعنى ما داخل كل ترجمة. وهو ما يتعين على علم الترجمة التأمل فيه عند بلوغه قمة التفكير، وإلا لن يكون علماً للترجمة بالمعنى الملمح إليه. ويرتبط فعل الترجمة هنا بالفضاء الحديث للأدب حيث تصبح الروابط بين النقد والترجمة متضمنة جوهرياً داخل فعل الكتابة. (برمان، 2010/1985، ص. 39-40) وبذلك حدد برمان فائدة الترجمة من الفلسفة ضمن منهج الفلسفة ذاته القائم على التأمل، وإن كان قد تحدث عن التجربة فهي أيضاً لا تخرج عن إطار الفعل الفلسفي العائد للتأمل، وبهذا تمكن كحال دريدا من إظهار العلاقة الماهوية بين الترجمة والفلسفة، حتى لا تكاد أحدهما تسير من دون وجود الأخرى. لكنه لم يذهب إلى حد القول بتعددية المناهج كحال الفوضوية التي مثلها فييرابند؛ والتي تؤكد تعددية مدلولات النص ومعانيه، وتعذر التجربة بين اللغات.

3- التعددية وترجمة النص الفلسفي

تعتبر التعددية سمة أساسية لمفكري ما بعد الحداثة، وأرادوا بها الخروج عن ثبات المعنى الذي دعت إليه الوضعية المنطقية وعقلانية الحداثة التي أرادت اخضاع جميع العلوم ومن ضمنها علم الترجمة لمنهجٍ محدد، في حين تبني المترجمون من أنصار التعددية مناهج متعددة في ترجماتهم، واستخدموا أساليب ونظريات مختلفة تلائم طبيعة النص المصدر وسياقه

وطبيعة اللغة الهدف. وكانَ لخيال فيرابند الدور الأكبر في التعبير عن هذه التعددية التي تمثل جزءاً من فوضويته المعرفية، ولم تكن تعني هذه الفوضوية العبثية والفوضى، بل مثلت طريقة في التفكير، ترمي إلى تحرير النَّاس من كلِّ هيمنة معرفية أو منهجية صارمة أو نمطية، واستخدمها فيرابند كما يقولُ لاجوس برونس L.Brons كـ: "منهجية فلسفية، وعلى أنَّها ما بعد الفلسفة". (Brons, 2015, p.144) ولم يكن يعني بها الفوضى بالمعنى السلبي، بل تأكيد فكرة الانفتاح الكامل على جميع المناهج دون التزام صارم بمنهج معين أو معنى قاموسي محدد. وفي فعل الترجمة تكون الفوضوية رؤية جديدة لفهم النص واخضاعه لتفكير المترجم المبدع والمتحرر من كل قيود، وتتيح له التكيف مع النصوص المختلف، وتنوع مناهجه تنوعاً أكثر مرونة وجراً. وسنبين فيما يلي أثر هذه التعددية في ترجمة النص الفلسفي وتأكيدها على اللاقياسية بين اللغات، ونوضح المنهج الجديد الذي اقترحه في الترجمة، والمهام التي أوكلتها للمترجم.

1.3- النص الفلسفي واللاقياسية بين اللغات

يُصنف النص الفلسفي ضمن الترجمة التخصصية، لما تتضمنه من مصطلحات لا يفهم مضامينها سوى المشتغلين بها، ولا تعتمد على الترجمة الحرفية لما تقود إليه من سوء فهم دلالة النص، بل يعول المترجم هنا على ما يمتلكه من قدرة على تأويل النص الفلسفي، وهذا بدوره يفترض منه معرفةً جيدة بالموضوع الذي يترجمه، واللغتين المصدر والهدف، ومعرفة المصطلحات التخصصية؛ لأنَّ عدم معرفته بها يمكن أن يحول دون فهمه لجملة معينة، ويمتزج هذا الجهل بنوع آخر من الجهل يتعلق بالموضوع. (لودوير، ماريان. وسيليسكوفيتش، دانيكا، 2009/2001، ص.35) وربما كان هذا السبب في صعوبة ترجمة العديد من الأعمال الفلسفية، كأعمال فتغنشتاين من الألمانية إلى الإنكليزية، إذ تظهر الصعوبة في استخدام فتغنشتاين ذاته للمصطلح من تعريف مسبق له؛ نتيجة استخدامه لكثير من مصطلحاته من دون تعريف دقيق لها ولا نجد لديه تعريفاً بالمعنى المؤلف عند المناطقة، لذا بقيت كثير من مصطلحاته غامضة، وقد أشارت أنسكومب إلى كلمة Sachverhalt التي استعملها فتغنشتاين في كتابه "رسالة منطقية" بطريقة غامضة إلى حد كبير، والتي استخدم برتراند راسل Bertrand Russell مصطلح "واقعة ذرية Atomic fact" كمقابل لها في اللغة الإنكليزية، حيث قصد بها ما يقابل القضية الذرية حينما تكون صادقة. أما الصعوبة الثانية التي تظهر في ترجمة فتغنشتاين، فهي استخدامه للمصطلح بمعنيين مختلفين، أو عدة معان، كاستخدامه لكلمة واقعة Tatsache, Fait لكي يشير بها أحياناً إلى معنى الواقعة عامة، ويشير بها إلى الواقعة الذرية أحياناً أخرى. (حمود، 2009، ص.39)

الأمر ذاته نجده في أعمال فيرابند التي كانت في البداية عبارة عن مجموعة من المقالات المبعثرة، وشكَّلت لاحقاً مؤلفات ضخمة لم يجمعها هو ذاته، بل قُرَّاءه ونُقَّاده من بعده، وهذا ينسجم مع فوضويته التي فرضت عليه عدم الالتزام بقواعد الكتابة وشروط البحث، مما أدى إلى خلق صعوبة تتعلق بترجمة جملة؛ التي تعمَّد أن يكتبها بطريقة مغلوطة استناداً إلى دعوته في كسر جميع القيود والقواعد بما فيها قواعد اللغة، وبذلك كان ينتقل من حديث إلى آخر ويفرض على القارئ أن يعيد القراءة مراراً وتكراراً حتى يفهم مقصده، وموقفه. فكانت تفكيكية دريدا واضحة في كتاباته، وعلى الرغم من اعجابه به وبقوله بتغير المعنى وتعدده، بيد أنه لم يأخذ منه سوى النقد والتحليل؛ نظراً لفلسفته التي ترفض تقييد أي علم بمنهج واحد صارم، بل تؤكد تعددية المناهج وتدخل جميع النظريات، لذا يخرج عن نظرية برمان في عدم حصر عمل الترجمة في منهج محدد بل عدة مناهج، انسجماً مع تعددية المعاني والمدلولات التي تأثر فيها بنظرية فتغنشتاين حول تعدد المعاني. لكن فيرابند يختلف عنهما في تأكيده صعوبة الترجمة من لغة إلى أخرى؛ لأنَّ اللغات لا تقبل المقايسة، كونها تتأسس على مجموعة من القواعد النحوية التي تحكم استخدام مصطلح معين وتساهم في إضفاء المعنى عليه، ويقود التغيير في هذه القواعد إلى تغيير في معنى الحدود

المحكومة بتلك القواعد، (قطب، 2001، ص.92) فأنت بعد الترجمة لم تعد تقف أمام النص كما كان في اللغة المصدر، بل أنت أمام نصٍ مختلف جذريًا، هو نصك أنت، وفي الترجمة ستجد عالَمين من الخطاب مختلفين عن بعضهما البعض، ولكلٍ منهما لغةً مختلفة عن الأخرى، وتحمل تصورات ومعتقدات مختلفة، وتتعدّر الترجمة بينهما، (خليف، 2022، ص.167) ولعلّ رؤيته بدت قريبة من رؤية كواين، فكلاهما أكّد على عدم قدرة الفرد على تحديد المعنى، وكذلك فكرة عدم إمكانية ترجمة المعنى، حيث أكّد كواين على عدم تعيّن الترجمة من لغة إلى أخرى، فإذا حاولنا برأيه جمع كتاب ترجمة لغة معينة عن طريق ملاحظة سلوك متكلميها المفاهيمي والعام، فمن الممكن جمع كتاب ثانٍ متفق مع سلوكهم، وسيكون كلا الكتابين ترجمتين مختلفتين لتعابيرهم، (كواين، 2006/1980، ص.23) وهذا يوضح تعدّر الترجمة من لغة إلى أخرى؛ لأنّها ستؤدي إلى تغييرات كبيرة للغات المعبرة عنها، والأشياء في تغير مستمر، وبذلك يؤيد كواين كحال فيرابند صعوبة الترجمة، ويدعو للاعتراف بأنّ المعاني تتغيّر، ولا يمكن إدراك هذا التغيّر بالتفسيرات المنطقية التي تعجز عن إدراكه.

وبذلك يوافق فيرابند دريدا في القول بعدم وجود معنى ثابت للنص، ولا سيما النص الفلسفي، الذي يحمل مدلولات وتأويلات متعددة، وهو متعدد الأوجه والفهم، وإذا ما طبقنا مبدأه الشهير "كل شيء مقبول"، فسوف نقول: إنّ جميع الترجمات للنص الواحد صحيحة، طالما أنّها تعطي مدلولات ومعاني جديدة؛ لأنّ المعنى ليس ثابتًا بل متعدد، بشرط أن يكون التأويل إغناءً للمعنى وليس إلغاؤه، وأن يفضي إلى خلق خطابٍ جديد. وهنا يحرص فيرابند كحال دريدا على مراعاة القصدية في الترجمة: أي مقصد كلّ من المؤلف والمترجم والقارئ، فقد يختلف فهم النص بحسب تغير العصر، في حين يكون مقصد المؤلف إثبات فكرة لديه ومذهب يعتقد به، وكذلك القارئ، قد يفهم النص بحسب ما يدين له من معتقد أو دين أو مذهب. لذا ينبغي أن يعطي المترجم هنا معنى وفهمًا جديدًا للنص، ويخلق نصًا فلسفيًا جديدًا ضمن رؤية تطابق العصر، مع الحفاظ على المقصد الذي أراداه المؤلف، وبما يتطابق مع فهم القارئ، وهنا لم يعد المترجم وسيطًا بين القارئ والمؤلف فحسب، بل مانحًا للمعرفة أيضًا عبر تأويله الجديد. وبذلك تقع على عاتقه مسؤولية مضاعفة، إذ ينبغي الابتعاد عن الترجمة الحرفية التي قد تشوه المعنى الأصلي للنص، وإيصال المعنى الذي لم يستطع حتى المؤلف إيصاله، وينبغي أن تكون مهمته أشبه بمهمة الأنثروبولوجي.

2.3- مهمة مترجم النص الفلسفي

لم يقدم فيرابند نظرية حقيقية في علم الترجمة أو يوضح مهمة المترجم، بيد أنّه كان من المترجمين البارزين، واستخدم فوضويته في فعله الترجمي، وعلى الرغم من أنّه يرفض وصفه بالفيلسوف، لكنه ترك لنا أعظم فلسفة انعكس أثرها في خطابات القرن الحادي والعشرين وفلسفة ما بعد الحداثة، وسنحاول هنا أن نطبق رؤيته في فهم لغة النظريات العلمية على فعل ترجمة النص الفلسفي، ونقدم ما استقيناه من تجربته كمترجم لأعمال سابقه، ونوضح التماثل بين مهمة المترجم ومهمة الأنثروبولوجي في عدة نقاط:

3-2-1- تسهيل الترجمة الحوار بين الثقافات والحضارات، وهنا ينبغي أن يكون المترجم كحال الأنثروبولوجي الذي يهتم بدراسة قبيلة معينة، ويسعى للكشف عن لغتها والاهتمام بكلّ تفاصيل حياتها، وبعد إيجاد الكلمات الرئيسية يحاول أن يفهمها ويفهم المجتمع المحلي من دون أيّ تدخل خارجي. كذلك ينبغي أن يجهد مترجم النص الفلسفي نفسه في البداية في تأويل المصطلحات كافة وفهمها، وأن يفهم قبل ذلك الفيلسوف الذي كتب النص ومذهبه؛ لكي يفهم طريقة تفكيره والدوافع التي قادته لاختيار هذا المصطلح من دون غيره، وكذلك المشاعر والعاطفة التي انتابته حينما كتب أو انتقد رأيًا ما، لذلك عندما

نترجم ينبغي أن ننقل أنفسنا إلى ذلك العصر الذي وجد فيه الفيلسوف، حتى لنكاد نشعر أننا هو، ومن دون ذلك لا تكون ترجمة، وربما أبرز مثال على ذلك ترجمة أعمال هيغل ضمن سياق التطور التاريخي والثقافي الذي عاشه.

2-2-3- قد يبتعد الأنثروبولوجي في فهمه لقبيلة معينة عن التأويلات الغريبة عنها أو المقارنات التي قد لا تجدي نفعاً، كأن يقارن مثلاً بين تفكيره وطريقة تفكير تلك القبيلة؛ أو يستخدم لغته المحكية بالتعبير عن أفكارها، مما يفرض عليه أن يسيطر على نزواته ودوافعه، ومن المحتمل ألا يتمكن من ذلك، وألا يفهم تلك القبيلة إذا ما قايسها على تفكيره، كذلك المترجم الذي يفرض عليه النص العودة إلى الترجمات السابقة أو المؤلفات التي كتبت عنه، إذ ينبغي أن يحرص على ألا تجرّه تلك الترجمات أو المؤلفات إلى اعتناق النص الفلسفي من دون تأويله، أو أن ينسخ ترجمة مصطلح كما ورد عند غيره من دون أن يعطي تأويله هو له، فقد يقدم ترجمة جديدة تكون أكثر دلالة عليه من غيره. ويجب ألا يقيس تفكير المؤلف بتفكيره هو، وأن يراعي العصر الذي كتب به، ويتجرد من تحيزات وأفكاره السابقة عنه، وألا يحاسب الفيلسوف على فكرته، بل ينقل الفكرة بموضوعية تامة ولا داعي للكثير من الحواشي التي تنم عن أيديولوجيا مهمة، وسوء فهم للفظ، وكم نحن بحاجة لذلك في التعامل مع مؤلفات الفلاسفة الوجوديين من أمثال كريكجار وهايدغر.

2-2-3- ربما يواجه الأنثروبولوجي أموراً محيرة لا يجد لها تفسيراً، وهنا يحاول لكي يحصل على نتائج أمينة تتعلق بتلك القبيلة، أن يخفي ما هو مهم بالنسبة له، فلربما جاء باحثٌ غيره وأوضحه من دون أن يُدخل نزعاته وتفسيراته الذاتية فيه. كذلك المترجم إذا ما أعياه البحث عن مفردة بديلة والتبس عليه الأمر، فيجب ألا يعطي تفسيرات غير مجدية. كما قد يواجه في النص أحياناً فقدان أحد الحروف بسبب تلف الوثيقة مثلاً، فلا بد أن يجهد في معرفته وتأويله، وإذا فشل في ذلك فيجب أن يضع إشارة إلى التلف في الهامش، عسى أن يأتي مترجمٌ غيره ويقدم الكلمة المناسبة. لكن العديد من المترجمين قد يقع في خطأ هنا، ويتروكو الأمر على حاله، والطامة الكبرى تأتي من الترجمة عنهم من دون الرجوع إلى الوثيقة الأصلية، فيقع الخلط بين فيلسوف تجريبي وآخر واقعي أو عقلي.

2-2-4- يجمع الأنثروبولوجي بياناته من أفراد القبيلة التي يريد دراستها، وليس بالاعتماد على ما كتب عنهم، وكذلك ينبغي أن يحرص مترجم النص الفلسفي على العودة إلى النص الأصلي، إذ أن الترجمة من نصٍ وسيط تُعتبر من أكبر الإشكاليات التي تواجهنا في الفلسفة؛ لأنَّ بعضهم قد يلجأ إلى ترجمة نصٍ عن الإنكليزية لفيلسوف كتب باللغة الألمانية أو الفرنسية، مع من واجبه العودة للأصل؛ لأنَّ المترجم الإنكليزي أيضاً، قد يسيء فهم بعض المفردات مما يشوه النص الأصلي، فيأتي المترجم الثالث، ويشوه المشوه على حد تعبير أفلاطون، وينقل نصاً باللغة العربية غير مفهوم.

2-2-5- يتحرى الأنثروبولوجي الدقة في معرفة كل كلمة عند أفراد القبيلة والسبب في منشأها، كذلك ينبغي أن يراعي المترجم رحلة انتقال المصطلح من لغةٍ إلى أخرى، ويعود به إلى جذوره أو أصوله ثم يؤوله بما يتوافق مع مدلوله في المبحث الذي يريد تطبيقه عليه، ويمنحه حياةً جديدة. (للمزيد يراجع: خليف، 2022، ص. 162-166)

لم أقصد بهذه المقارنة بين الأنثروبولوجي والمترجم التنظير الفلسفي في الترجمة، وإنما للتنويه وحسب إلى أنَّ الترجمة على خلاف ما ذهب إليه فيرابند ممكنة بين اللغات إذا ما استخدمنا رؤيته ذاتها في تطور العلم وتعدد المناهج، بشرط وجود المترجم

الناجح، وسيره على خطى الأنثروبولوجي، ليخلق نصًا جديدًا وفلسفةً جديدة، ولا شك أنَّ الفلسفة تمكّن المترجم من تحليل النص وتفكيكه وفهم مدلولاته ومعاني، وبوصفها حقلاً لانتاج المصطلحات، فقد يسهم المترجم في خلق مصطلحات جديدة، ولكي يصل المترجم إلى ذلك لابد له من أن يعي مهمته الأساسية كمترجم ومؤلف ثانٍ للنص من خلال التزامه بعدة واجبات:

- التركيز على الوعي الترجمي الذي يتضمن إدراك أنَّ عملية الترجمة تتكون من المنتج والمنتج؛ أي المترجم بما يمتلكه من مؤهلات وثقافة، والنص الأصلي الذي سيحوي ثقافته وثقافة مؤلفه. فإذا كان النص يتحدث في سبيل المثال عن عيد الشكر في الولايات المتحدة الأمريكية فينبغي هنا أن يمتلك المترجم معرفة كافية بالثقافة الأمريكية وأهمية عيد الشكر كحدث تاريخي واجتماعي وأن يفهم عاداتهم وينقل النص بطريقة يفهمها القارئ العربي إن لم يكن على معرفة مسبقة بهذا العيد، ويوضح معناه في الهامش. وينبغي أن يعي المترجم الفئة التي يتوجه إليها، فإن كان النص فلسفي فهو موجه بالطبع للمتخصصين وهنا ينبغي مراعاة أنه يخاطب فئة أكاديمية، فإذا كان النص للفيلسوف هايدغر وجب أن يكون المترجم حذرًا في نقل مصطلحاته كما هو متعارف عليها في الفلسفة، كمصطلح "الوجود في العالم" *being-in-the-world* وهو مصطلح جوهري في فلسفة هايدغر وله دلالات وجودية عميقة، لذا يجب نقله بحذر لضمان عدم تشويه المعنى الفلسفي. وإن كان النص موجه لطلاب الفلسفة فينبغي شرح المصطلح في الهامش، ولا يحتاج الخبراء إلى ذلك لأنهم على دراية بدلالاته.

- أن يمتلك المترجم المرونة لتقبل النقد، وأن يكون لديه فهم معرفي وفضول للكشف عن المجهول. فإن عدنا لمثالنا السابق نجد أنَّ من واجب المترجم تقبل النقد إن أخبره أحدهم بغموض مصطلح الوجود في العالم، وأن يبحث عن بدائل للترجمة، ولن يكن له هذا من دون امتلاكه في الأساس لشغف المعرفة والكشف عن المجهول من خلال قراءته لنصوص أخرى لهايدغر ومراجعة تحليلات الفلاسفة لمصطلح "الوجود في العالم".

- أن يدرك المترجم أنه مؤلف ثانٍ للنص، فيلتزم الموضوعية ويتعد قدر المستطاع عن الأيديولوجيا والذاتية التي تدفعه إلى حذف مقاطع من النص الأصلي، وإضافة معاني غير موجودة، وألا يعتمد على الترجمات السابقة ولا سيما في ترجمته للنص الفلسفي؛ لأنَّ كل مترجم يقدم تفسيره وفهمه الخاص للنص، وعليه أن يتجاوز كل التفسيرات السابقة عليه، ويقدم نصًا مختلفًا. ويظهر لنا هذا في الترجمات الحديثة لكتب الفيلسوف فريدريك نيتشه الذي طرح في كتابه "هكذا تكلم زرادشت" مصطلح "Übermensch" والتي تترجم إلى "الإنسان الأعلى"، في حين نجد أنَّ العديد من المترجمين يعتمدون على الترجمات السابقة لها كـ "السوبرمان" أو "الإنسان المتفوق" أو "الإنسان الخارق"، ويسقطون رؤيتهم الشخصية لتفسير هذا المصطلح وفق أيديولوجية معينة، بينما كان من واجبهم فهم النص والابتعاد عن التفسيرات السابقة، لمنح القارئ فهمًا جديدًا للنص، وقدرة على استنتاج المعاني الأعمق في النص.

- لابد أن يمتلك المترجم مفردات اللغة الأم ويجهد في تعريب المصطلحات وتطوير اللغة، فيقدم نحتًا جديدًا لها، ويضيف إلى القواميس مفرداته الجديدة. وأن يجيد أكثر من لغتين ليتمكن من العودة بكل نص إلى لغته الأصلية وفهمها بصورة أفضل، فضلًا عن إلمامه بكل أنواع الترجمة واستراتيجياتها. ويمكن أن نعطي مثالاً على ذلك ما قدمه لنا كانط من مفاهيم ومصطلحات جديدة ينبغي إغناء القارئ العربي بها، كتمييزه مثلًا بين الفينومين والنومين أو "الفينومينات" *phenomena* و"النومينات

"noumena"، والتي ينبغي تعريفها مباشرةً من دون أي تشويه؛ لكونها مصطلحات أصيلة لكانط، ولتوضيحها للقارئ يمكن إضافة هامش، يوضح فيه المعنى، حيث تعني الفينومينات الظواهر أو العالم كما نراه أما النومينات فهي العالم كما هو في ذاته. وفي سياق ترجمة أعمال كانط ينبغي العودة بالأساس إلى اللغة الأصلية؛ أي الألمانية للتمييز بين الظواهر Erscheinungen والأشياء في ذاتها Ding an sich؛ لذلك ينبغي أن يكون المترجم ملماً بالعديد من اللغات، وكذلك باستراتيجيات الترجمة، فيستخدم الحرفية عند محافظته على مصطلح المؤلف، والتنوع في الاستراتيجيات عندما يريد التركيز على تعدد المعنى.

- أن يكون موسوعياً يحيط علماً واسعاً بمجال اختصاصه والثقافة المعاصرة والقديمة، وهي ليست بالمهمة المستحيلة طالما امتلك نهماً معرفياً، وقراءة يومية لكافة الانتاجات المعرفية. وأبرز مثال على ذلك من المترجمين العرب هو جورج طرابيشي، الذي لم يكتفِ بترجمة النصوص بل أضاف رؤى نقدية وتحليلية جعلت من ترجماته مرجعاً أكاديمياً، كما أن ترجمته لأعمال عظماء الفلاسفة يدل على أنه مترجم موسوعي، فقد كان قارئاً نهماً لكل ما يتصل بالفلسفة، وتمكن من إدراك السياقات المختلفة للنصوص التي ترجمها، الأمر ذاته نجده عند بول فييرابند، حيث أوضحت كتاباته مدى قدرته على قراءة مختلف النصوص الفلسفية والعلمية أيضاً، وإلمامه بالعديد من اللغات والثقافات القديمة منها والحديثة، وتمكن بذلك من أن يقدم لنا نقداً واضحاً لكل الفلاسفات السابقة عليه في كتابه "ضد المنهج".

- أن يمتلك حساً لغوياً، وقدرةً على تذوق النص لتطويعه، وإخراجه بالشكل المناسب له. ونجد مثال على ذلك في نصوص فييرابند التي تعمّد فيها تقديم مصطلحاته الخاصة كمصطلح "epistemological anarchism" الذي يترجم حرفياً إلى الفوضوية المعرفية، لكن إن كان المترجم يمتلك حساً لغوياً وتذوقاً للنص لترجمته إلى "الأناركية الإبستمولوجية" ليبقى قريباً من الدقة الفلسفية ويعكس مدلوله. ويمكن أن نذكر من المترجمين العرب الذين لمسنا لديهم هذا الحس اللغوي أيضاً عبد الرحمن بدوي في ترجمته كتاب "الوجود والزمان Being and Time" للفيلسوف الألماني مارتن هايدغر، حيث قدّم ترجمة مميزة جمعت بين الدقة الأكاديمية والإبداع اللغوي.

- أن يلمّ بقواعد الترجمة من حيث تحليل بنيات الجمل وتراكيبها. وكلنا يعلم أن تركيب الجملة في اللغة العربية يختلف عنه في اللغات الأخرى، فإن كان النص باللغة الإنكليزية فينبغي إعادة تشكيل الجملة بالعربية مع الحفاظ على الترتيب المنطقي الذي يوضح النص، وإن كانت الجملة طويلة ومعقدة وجب تطويع النص من دون فقدان المعنى وإعادة صياغة الجملة بطريقة سلسلة ومفهومة، ومراعاة اختلاف قواعد اللغة.

- أن يواكب كل جديد؛ ولا سيما آليات الذكاء الاصطناعي، بحيث يكون مبدعاً في آدائه وإضافاته وتعليقاته، فضلاً عن الإحاطة بالسياق الفكري العام والسياق التاريخي للنص الذي يعكف على ترجمته.

4- المنهجية والأدوات

سار البحث باستخدام عدة مناهج انطلاقاً من المنهج الوصفي التاريخي لتتبع تطور العلاقة بين الفلسفة والترجمة عبر العصور المختلفة، والمنهج النقدي في معرفة مكامن الضعف والقوة في النصوص المختلفة، والطريقة التي أوضح فيها دريدا مفاهيمه في الترجمة، ويتضح المنهج النقدي أيضاً في الصعوبات التي ظهرت عند ترجمة النص الفلسفي واللاقياسية، وكذلك في نقد فييرابند للفلسفات السابقة عليه.

اعتمد البحث أيضاً المنهج التحليلي في تفكيك الأفكار وتبسيطها، وظهر ذلك في تقسيم تاريخ تطور العلاقة بين الفلسفة والترجمة إلى أطوار مختلفة، وتحليل كل طور على حدة، وكذلك في سياق شرح أعمال كل من دريدا وبرمان، وفي توضيح طبيعة النص الفلسفي وأهم إشكاليات الترجمة التي ظهرت في نصوص فتغنشتاين وفييرابند، كذلك سار البحث وفق المنهج المقارن في توضيح العلاقة بين الفلسفة والترجمة، والمقارنة بين نظريات الفلاسفة المختلفة، والمقارنة بين المترجم والأنثروبولوجي، وكذلك بين أفكار فييرابند وسابقيه.

5-الخلاصة

بين هذا البحث الدور الذي تؤديه الفلسفة في فعل الترجمة من خلال توضيح تطور العلاقة بين الترجمة والفلسفة تاريخياً، واتضح أنَّ الفلسفة انعكست إيجاباً في الترجمة وساهمت في ظهورها كعلم له أدواته ومنهجه واستراتيجياته، وتبين وجود تشابه ماهوي بين الترجمة والفلسفة عند النظريات التي أكدت ذلك، وأنَّ الترجمة تتصف بالكثير من صفات الفلسفة، والترجمة تعود بالفائدة على الفلسفة. أظهر البحث أيضاً أثر تعددية فييرابند في فهم الترجمة، وأنَّ الفلسفة الفوضوية رغم تنظيرها بتعذر الترجمة بين اللغات وعدم القابلية للقياس، لكنها قدمت الكثير للفعل الترجمي، ومنحتنا أداةً، أوضحنا من خلالها مهمة المترجم وتمائل دوره مع دور الأنثروبولوجي، والواجبات التي ينبغي أن يلتزم بها إن أراد أن يقدم فلسفة جديدة لا تنفي الفلسفات السابقة عليها، بل توسعها وتضيف إليها. أخيراً يفسح البحث في المجال إلى التوسّع في نظريات ماهوية الفلسفة عند القائلين بها من فلاسفة ومترجمين نظراً لاقتصرنا على ما قدمه دريدا وبرمان فقط، في حين لم يتطرق البحث لأهمية الفعل الترجمي عند جان لادميرال، وهایدغر، والعلاقة بين موقف هايدغر وتعددية فييرابند، وكذلك تعددية المعاني واللاقياسية بين كواين وفييرابند، كما يتيح البحث دراسات جديدة في دور التعددية الفييرابندية في علم الترجمة وتطبيقها في نقد الترجمات المختلفة ودراساتها، ويفسح البحث في المجال لوضع الكثير من النصوص الفلسفية المعقدة موضع النقد والتحليل بناءً على نظريات فلاسفة الترجمة واتباع المنهج الأنثروبولوجي مثل نصوص إمانويل كانط التي تحتاج إلى إعادة النظر في كثير من المعاني المتضمنة في فلسفته، وكذلك مراجعة ترجمة الفلسفات اللاتينية القديمة في ضوء المعاني الجديدة.

هامش المصطلحات

- الأنثروبولوجيا: لفظ مكون من مقطعين Anthropos بمعنى إنسان، Logos بمعنى علم، أي علم الإنسان؛ الذي يتناول تطور الإنسان منذ ثقافته البدائية، ويهدف إلى معرفة أصل النوع الإنساني والظواهر المتعلقة به معرفة شاملة.(تيلوين، مصطفى، 2011، ص.10).

- التعددية: مصطلح ذاع في القرن التاسع عشر، وهو تصور أخلاقي وسياسي وارد في المجتمعات المكونة من أفراد وجماعات حرة في عدم الانصياع لقناعات مختلفة، لكنها مع ذلك ترغب في الحياة معاً. كما يطلق أيضاً على البراغماتية التي تزعم أن مستقبل العالم يحتمل إمكانيات عدة يتوقف تحققها على فعل الكائنات التي تقرر مصيره في مقابل واحدة المعتقدات والقيم. وهبة، 2007. ص. 198).
- التفكيكية: أسلوب صاغه دريدا في فهم العلاقة بين النص والمعنى، ويقوم التفكيك على التوضع داخل الظاهرة وتوجيه ضربات متوالية لها من الداخل، وهو عملية ينتقل فيها السؤال من طبقة معرفية إلى أخرى ومن معلم إلى آخر حتى يتصدع الكل. (دريدا، 2000. ص. 47)
- الفوضوية: لفظ يوناني مؤلف من مقطعين an بمعنى النفي، وarchos بمعنى السلطة، أي "لا سلطة". وبالألمانية Anarchismus: الأناركية وتعني رفض السلطة، وارتبطت كمذهب بغودوين Godwin، وباكوينين Bakunin، وبرودون Proudhon وآخرين، والذين أشاروا إلى أن الجماعات البشرية ينبغي أن تزدهر دون دولة؛ لأن الدولة تفسد الميول الطبيعية عند الإنسان، وعرفت تاريخياً أيضاً على أنها اتجاه اجتماعي سياسي للبرجوازية الصغيرة معادٍ لكل سلطة. ويستخدمه فييرابند هنا بمعنى التحرر من سلطة المنهج الواحد. (Blackburn, 1994, p. 15)
- اللاقياسية: مصطلح رياضي استخدمه فلاسفة العلم للتعبير عن النظريات التي لا تقبل المقارنة، بحيث لا يمكن تأطير النظرية الأولى بلغة الأخرى، ولا يمكن إجراء تقييم موضوعي لمزايا أحدهما مقابل الأخرى. (Blackburn, 1994, p. 69)

قائمة الببليوغرافيا

المراجع العربية

- إبراهيم، فاضل خليل. (1984). *خالد بن يزيد سيرته واهتماماته العلمية: دراسة في العلوم عند العرب*. بغداد: دار الحرية للطباعة.
- أوليري، دي لاسي. (1982) *الفكر العربي ومركزه في التاريخ*. (إسماعيل البيطار، مترجم)، بيروت: دار الكتاب اللبناني. (العمل الأصلي نشر في 1922).
- برمان، أنطون. (2010). *الترجمة والحرف أو مقام البعد*. (عز الدين الخطابي، مترجم). بيروت: المنظمة العربية للترجمة. (العمل الأصلي نشر في 1985).
- حمود، جمال. (2009). *فلسفة اللغة عند لودفيغ فتنغشتاين*. منشورات الاختلاف الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- حيدرة، فتيحة. (2014). *الترجمة وفلسفة الاختلاف*: جاك دريدا أنموذجاً. *مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية*، 2(3)، 168-177.
- خليف، منال محمد. (2022). *ضد العقل*. بغداد: دار أباكالو للتوزيع والنشر.

- دريدا، جاك. (2015). *أبراج بابل*، (صبيح دقوري، مترجم). اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع. (العمل الأصلي نشر في 1985).
- دريدا، جاك. (2000). *الكتابة والاختلاف*. (كاظم جهاد، مترجم). (ط.2)، المغرب: دار توبقال للنشر. 60-61. (العمل الأصلي نشر في 1987).
- ديون، مايكل. (2018). *مختصر تاريخ الصين*. (نانسي محمد، مترجم). القاهرة: دار العربي للنشر والتوزيع. (العمل الأصلي نشر في 2016).
- عبد الرحمن، طه. (1995). *فقه الفلسفة: الفلسفة والترجمة (ج1)*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- قطب، خالد أحمد محمد. (2001). *منطق التقدم العلمي*. القاهرة: دار قباء.
- الكاشف، سيدة إسماعيل. (1967). *عبد العزيز بن مروان*. القاهرة: دار الكتاب العربي.
- كرم، يوسف. (2012). *تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط*. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- كواين، ويلارد فان أورمان. (2006). *من وجهة نظر منطقية: تسع مقالات منطقية فلسفية* (حيدر حاج إسماعيل، المترجم). بيروت: المنظمة العربية للترجمة. (العمل الأصلي نشر في 1980).
- لودوير، ماريان. وسيليسكوفيتش، دانيكا. (2009). *التأويل سبيلًا إلى الترجمة*. (فايزة القاسم، مترجم). بيروت: المنظمة العربية للترجمة. (العمل الأصلي نشر في 2001).
- لونغ، لين. (2017). *كانون الأول. التاريخ والترجمة*. (حميد العواضي، مترجم). دمشق: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر. (العمل الأصلي نشر في 2007).
- تيلوين، مصطفى. (2011). *مدخل عام في الأنثروبولوجيا*. بيروت: دار الفارابي. منشورات الاختلاف.
- هيل، جوناثان. (2012). *تاريخ الفكر المسيحي*. (سليم اسكندر، ومايكل رأفت، مترجم). القاهرة: مكتبة دار الحكمة (العمل الأصلي نشر في 2003).
- وهبة، مراد. (2007). *المعجم الفلسفي*. القاهرة: دار قباء الحديثة.
- اليوزيكي، توفيق سلطان. (1976). *التعريب في العصرين الأموي والعباسي*. مجلة *آداب الرفادين*، (7)، 32-3.

المراجع الأجنبية

- Blackburn, Simon. (1994). *The Oxford Dictionary of Philosophy*. Oxford University Press. Oxford New York.
- Brons, L L. (2015). *Anarchism as Metaphilosophy*. The Science of Mind. Nihon University.
- Mark, J. J. (2018). Alfred The Great. *World History Encyclopedia*.
https://www.worldhistory.org/Alfred_the_Great
- Messaoudi, L. (1995). traduction et linguistique/le cas des technolected. In *Traduction et interétation des textes*. Pub Université Mohammed V.

Romanization of Arabic Bibliography

- Ibrahim, Fadel Khalil. (1984). *Khalid ibn Yazid: Siratuh wa Ihtimamatuh Al-Ilmiyya: Dirasa fi Al-Oulum Inda Al-Arab* [Khalid ibn Yazid: His Life and Scientific Interests: A Study of Sciences among the Arabs]. Baghdad: Dar Al-Hurriya for Printing.
- O'Leary, De Lacy. (1982). *Al-Fikr Al-Arabi wa Markazuh fi Al-Tarikh* [Arabic Thought and Its Place in History] (Ismail Al-Bitar, Trans.). Beirut: Dar Al-Kitab Al-Lubnani. (Original work published 1922).
- Berman, Antoine. (2010). *Al-Tarjama wa Al-Harf aw Maqam Al-Bu'd* [Translation and the Letter or the Site of Distance] (Ezzeddine Al-Khattabi, Trans.). Beirut: Arab Organization for Translation. (Original work published 1985).
- Hammoud, Jamal. (2009). *Falsafat Al-Lugha Inda Ludwig Wittgenstein* [Philosophy of Language in Ludwig Wittgenstein]. Al-Ikhtilaf Publications, Algeria: Arab Scientific Publishers.
- Haidera, Fatiha. (2014). *Al-Tarjama wa Falsafat Al-Ikhtilaf: Jacques Derrida Namoudhajan* [Translation and the Philosophy of Difference: Jacques Derrida as a Model]. *Al-Hikma Journal for Philosophical Studies*, 2(3), 168-177.
- Khalif, Manal Muhammad. (2022). *Did Al-'Aql* [Against Reason]. Baghdad: Dar Apkalu for Distribution and Publishing.
- Derrida, Jacques. (2015). *Abraj Babel* [Towers of Babel] (Sobhi Daqouri, Trans.). Latakia: Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution. (Original work published 1985).
- Derrida, Jacques. (2000). *Al-Kitaba wa Al-Ikhtilaf* [Writing and Difference] (Kazem Jihad, Trans., 2nd ed.). Morocco: Dar Toubqal Publishing. (Original work published 1987).
- Dillon, Michael. (2018). *Mukhtasar Tarikh Al-Sin* [A Short History of China] (Nancy Muhammad, Trans.). Cairo: Dar Al-Arabi for Publishing and Distribution. (Original work published 2016).
- Abd Al-Rahman, Taha. (1995). *Fiqh Al-Falsafa: Al-Falsafa wa Al-Tarjama* (Vol. 1) [The Jurisprudence of Philosophy: Philosophy and Translation]. Casablanca: Arab Cultural Center.
- Qotb, Khaled Ahmad Muhammad. (2001). *Mantiq Al-Taqqaddum Al-Ilmi* [The Logic of Scientific Progress]. Cairo: Dar Qibaa.
- Al-Kashef, Sayyida Ismail. (1967). *Abd Al-Aziz ibn Marwan* [Abd Al-Aziz ibn Marwan]. Cairo: Dar Al-Kitab Al-Arabi.
- Karam, Youssef. (2012). *Tarikh Al-Falsafa Al-Ouropiyya fi Al-Asr Al-Wasit* [History of European Philosophy in the Middle Ages]. Cairo: Hindawi Foundation for Education and Culture.
- Quine, Willard Van Orman. (2006). *Min Wijhat Nazar Mantiqiyya: Tis'a Maqalat Mantiqiyya Falsafiyya* [From a Logical Point of View: Nine Logical-Philosophical Essays] (Haider Haj Ismail, Trans.). Beirut: Arab Organization for Translation. (Original work published 1980).
- Lederer, Marianne, & Seleskovitch, Danica. (2009). *Al-Ta'wil Sabilan ila Al-Tarjama* [Interpretation as a Path to Translation] (Faiza Al-Qassem, Trans.). Beirut: Arab Organization for Translation. (Original work published 2001).



- Long, Lynn. (2017, December). *Al-Tarikh wa Al-Tarjama* [History and Translation] (Hamid Al-Awadi, Trans.). Damascus: Arab Center for Arabization, Translation, Authorship, and Publication. (Original work published 2007).
- Tilouine, Mustafa. (2011). *Madkhal 'Aamm fi Al-Anthropologia* [A General Introduction to Anthropology]. Beirut: Dar Al-Farabi. Al-Ikhtilaf Publications.
- Hill, Jonathan. (2012). *Tarikh Al-Fikr Al-Masihi* [History of Christian Thought] (Salim Iskandar & Michael Raafat, Trans.). Cairo: Dar Al-Hikma Library. (Original work published 2003).
- Wahba, Murad. (2007). *Al-Mu'jam Al-Falsafi* [The Philosophical Dictionary]. Cairo: Dar Qibaa Al-Haditha.
- Al-Youzbeki, Tawfiq Sultan. (1976). *Al-Ta'rib fi Al-Asrayn Al-Umayy wa Al-Abbasi* [Arabization During the Umayyad and Abbasid Periods]. *Adab Al-Rafidain Journal*, (7), 3-32.